حقوق الإنسان الواردة في خطبة أول الخلفاء الراشدين
(دراسة مقارنة)

د. محمد عثمان محمد نور*

* أستاذ القانون العام المساعد، بالجامعة السعودية الإلكترونية – فرع القصيم.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ملخص البحث

من أهداف البحث بيان قيم حقوق الإنسان الواردة في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتحليلها ومقارنتها بالقيم الواردة في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، وإصلاح النظام الاجتماعي، وبيان أسس الحكم الرشيد الواردة في الخطبة، والتعرف على مدى أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية في القيم المتعلقة بالحقوق المدنية والسياسية، ثم بيان كيفية الاستفادة من القيم الإنسانية الواردة في الخطبة في الحاضر والمستقبل.

وقسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث الأول بعنوان مفهوم حقوق الإنسان والقيم والبيعة ، والثاني أهمية الخطبة والظروف المحيطة بها، والثالث القيم الإنسانية الواردة في الخطبة، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث: الاهتمام بالإصلاح الداخلي والذي شمل إعلان مبدأ المساواة والاعتراف بحق الأمة في رقابة الحاكم وعونه، وإعلان العدل والقسط بين الناس، والدعوة إلى مجتمع الطهر والفضيلة ومحاربة الرذيلة، والطاعة لولي الأمر في المعروف.

هذا بجانب الاهتمام بالإصلاح الخارجي المتمثل في نشر الدعوة والتمسك بالجهاد في سبيل الله، وبيان حجم التعارض بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية حول مبدأ المساواة المطلقة بين الرجال والنساء، وأن العدل والمساواة والحرية من أهم وأبرز الحقوق المدنية والسياسية التي تضمنتها خطبة الصديق في أول بيان سياسي عام له.

ومنه أهم التوصيات:إجراء المزيد من الدراسات حول قيم وحقوق الإنسان الواردة في خطب الخلفاء الراشدين، التمسك بحق الشعوب في احترام خصوصياتها الدينية والثقافية عند التوقيع أو المصادقة على المواثيق الدولية لحقوق الإنسان.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

Abstract

The objectives of this research is to state the value of the Human Rights given in the sermon of Abu Bakr, may Allah be pleased with him, and to analyze and compare this value comparing to the values contained in the international instruments on human rights, and reform of the social system, and also to put the foundations and the basic principles of guided governance, this research will also identify the extent of the points of agreement and the points of differences between Islamic Law and the International conventions concerning the values of civil and political Rights, then the research will show how to benefit the values of the human Rights contained in the sermon of Abu Bakr in the present time and also in the future.

This research was divided into three topics, the most important results found by the researcher is as follow:

The importance of the internal reform, which include the declaration of the principle of equality and recognition of the Right of Nation to monitor their rulers. Also the declaration of justice and fairness among people, the call of society of purity and virtue, and fight against vice, and the obedience to the guardian in good deeds.

Beside the attention of external reform by calling to Islam and sticking to Jihad for the sake of Allah. Also the need to show the contradictions between principle of the Islamic Law and the International conventions concerning the absolute equality between men and women, and that justice, equality, and freedom are the most important and prominent of the civil and political rights contained in the sermon of Al-Seddik in his first common political statement.

So we recommend further studies on the political and administrative jurisprudence of the Rightly Guided Caliphs, Admit and respect the right of people to uphold their religious and cultural specificities when signing the international human rights treaties.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

خطبة أبي بكر الصديق ﷺ تستحق الدارسة والتحليل لكونها أول بيان سياسي بعد وفاة الرسول ﷺ، أبان مبادئ النظام السياسي الإسلامي، والتي هي في ذات الوقت تُجسد حقوق الإنسان المدنية والسياسية، إعلان مبدأ سيادة القانون من خلال الدعوة لإقامة العدل، وإعلان المساواة بين الجميع، وهي من أهم سمات الدولة الشرعية.

كما أن لهذه الخطبة أهميتها باعتبارها مثلت برنامجاً شاملاً للإصلاح السياسي، والاجتماعي، والعدلي، والأخلاقي، والعلاقات الدولية، وذلك على المستويين الداخلي والخارجي مع التركيز على جانب الإصلاح الداخلي حسب فقه الأولويات لتلك المرحلة التي توصف بأنها مرحلة البناء والتأسيس بعد وفاة الرسول ﷺ وبداية عهد الخلفاء الراشدين.

ونجد أن لمثل هذه الدراسات المقارنة أهميتها ومكانتها مع ادعاءات الغرب بأنه صاحب الفكر السياسي الأصيل وواضع حقوق الإنسان وراعيها وما دونه من حضارات عالة عليه وذلك في تعارض واضح مع حقائق التاريخ والواقع.

وحصرت المقارنة بدرجة أساسية مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، باعتبار آن هذه المواثيق الدولية الثلاث تمثل الشرعية الدولية العالمية لحقوق الإنسان، هذا بجانب كثرة المواثيق الدولية التي يصعب تناولها جميعا في دراسة محدودة مثل هذه.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في بعد الأنظمة عن حقوق الإنسان كما يدعوا إليها الإسلام والتي يجب أن يلتزم بها الحكام والمحكومين اليوم، والجفوة

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الحاصلة بين الحكام والمحكومين، وادعاء الغرب بصوت عال أنه الداعي لتلك الحقوق وراعيها.

والباحث من خلال الدراسة يحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

1) ما هي أهمية خطبة أبي بكر؟
2) ما هي حقوق الإنسان التي اشتملت عليها خطبة الصديق رضي الله عنه ؟
3) ما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية في الحقوق الواردة في الخطبة؟
4) ما هي آثار تطبيق حقوق الإنسان في عهد أول الخلفاء الراشدين ؟
5) كيف يمكن الاستفادة من حقوق الإنسان الواردة في خطبة الصديق في حياتنا المعاصرة؟

الأهداف:

1) محاولة قراءة خطبة أبي بكر الصديق ﷺ وتحليلها وبيان حقوق الإنسان الواردة فيها.
2) تهدف الخطبة إلى وضع أسس سياسية للحكم الرشيد، وإصلاح النظام الاجتماعي.
3) الإسهام في تأصيل وتحرير بعض المفاهيم، والتعرف على مدى أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشريعة الإسلامية و حقوق الإنسان في الموضوع محل الدراسة.
4) بيان كيفية الاستفادة من حقوق الإنسان الواردة في خطبة الصديق رضي الله عنه في الحاضر والمستقبل.

أهمية البحث:

تأتي أهمية الخطبة في أنها اشتملت على مبادئ عامة وشاملة لنظام الحكم الرشيد، وبيان حقوق وواجبات كل من الراعي والرعية.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وأقوال الخلفاء الراشدين رضي عنهم جديرة بالدراسة لأنها ليست مجرد اجتهاد حاكم أو أمير أو فقيه فحسب، وإنما سنة ماضية وشرع حنيف مأمورين بإتباعه، إذ جاء في حديث العرباض بن سارية – الطويل – قال، قال رسول الله ﷺ: { عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنه كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة}[1].

الحقوق الواردة في خطبة الصديق رضي الله عنه لا يزال العالم يتوق إلى تحقيقها في واقعه السياسي.

حدود البحث:

يختصر البحث في تحديد حقوق الإنسان الواردة في خطبة أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق ﷺ، ومقارنتها بالحقوق الواردة في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان مع التركيز على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهدين الدوليين.

وبيان كيف أن الإسلام كان سابقاً لغيره من التشريعات الوضعية في الإقرار بحقوق الإنسان تشريعاً وتطبيقاً.

منهج البحث:

استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي، واتخذ أسلوب المقارنة في تناوله للقيم في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان.

الدراسات السابقة:

لم يحصل الباحث في حدود اطلاعه على دراسة مستقلة تتناول حقوق الإنسان الواردة في خطبة أول الخلفاء الراشدين أبي بكر الصديق ﷺ، مع مقارنتها لما ورد في القانون الدولي لحقوق الإنسان، وهذا على الرغم من كثرة الدراسات التي وثقت لسيرة أبي بكر الصديق والتعرض لخطبته، ولكن يظل تناولاً تاريخياً عاماً.

([1])سنن ابن ماجه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، حديث رقم: 43.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

هيكل البحث:

يتكون هيكل البحث من ثلاثة مباحث هي:

1- المبحث الأول: مفهوم البيعة وحقوق الإنسان.

2- المبحث الثاني: أهمية الخطبة والظروف المحيطة بها.

3- المبحث الثالث: حقوق الإنسان الواردة في الخطبة.

- الخاتمة:

1- النتائج

2- التوصيات

- المصادر والمراجع

المبحث الأول: مفهوم القيم والبيعة وحقوق الإنسان

المطلب الأول: تعريف حقوق الإنسان

تعددت تعريفات حقوق الإنسان حسب المنطلقات الفكرية لفقهاء القانون نذكر من أهمها ما يلي:

- هي مجموعة القواعد القانونية التي تهدف إلى حماية الإنسان في شخصه وماله وحرياته[1].
- هو علم يتعلق بالشخص الطبيعي الذي يعيش في ظل الدولة، ويمارس حقوقه وفقاً لمقتضيات النظام العام، ويستفيد من القضاء الوطني والدولي في حماية حقوقه[2].
- هو دراسة حقوق الأفراد من الوجهة الوطنية والدولية، بغرض التوازن بين حقوق الفرد في الكرامة الإنسانية وحق المجتمع في حماية النظام العام[1].

([1])القانون الدولي لحقوق الإنسان،د.عروبة جبار الخزرجي، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع –عمان، الأردن، ط 2010م، ص27.

([2])نفس المصدر، ص27.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

- ويُستخلص مما أورده د.عدنان الوزان في تناوله لمصطلح حقوق الإنسان- أي حقوق الإنسان يقصد بها حقوق كل فرد من الجنس البشري دون تمييز، وهي الحقوق اللازمة له في حياته لزوماً معتاداً، ليعيش حراً وبعيداً عن الظلم والاستبداد[2]، ومن جملة هذه التعريفات نجد أن معاني حقوق الإنسان تدور حول:

1- حماية الإنسان في شخصه وماله وحرياته الخاصة والعامة.

2- حماية حقوق الإنسان تتم عن طريق القضاء الوطني والدولي.

3- يجب أن يتقيد الإنسان في ممارسة حقوقه بالقيود الواردة في النظام العام وتلك الواردة في المواثيق الدولية المصادق عليها.

المطلب الثاني: تعريف القيم لغة واصطلاحاً1

الفرع الأول: القيمة لغة: القيمة، واحدة القيم

والقيمة: هي الشرع بالتقويم، ويقال كم قامت ناقتك ؟ أي كم بلغت وقامت الدابة = إذا وقفت – وكلت من السير.

والقائم بالدين: المتمسك به الثابت عليه.

وقائم السيف: مقبضه.

قيم الأمر: مقيمه، وأمر قيم، مستقيم، وخلقك قيِّم، أي مستقيم حسن.

والقيم: السيد وسائس الأمر.

وقيم المرأة: زوجها، قال الله تعالى: {**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء**}[3].

والملة القيمة: المعتدلة، قال الله تعالى: {**فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**}[1] أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على سواء وبرهان.

([1])حقوق الإنسان بين التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية، (دراسة مقارنة)، علي أحمد حاج حسين، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، 2013م، ص63.

([2])موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام وسماتها في المملكة العربية السعودية، حقوق الإنسان: الدين والعلمانية، د.عدنان محمد الوزان، مؤسسة الرسالة –بيروت، لبنان، عام 2005م، 1/47- 48.

([3])سورة النساء، الآية: 34.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومن أسمائه الحسنى القائم بتدبير أمر خلقه في إنشائهم ورزقهم[2].

والقيم تعبر عن الدوام في القرآن الكريم نحو قوله تعالى {أَلا إِنَّ **الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ** }[3]، أي في عذاب دائم[4].

وقوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}[5].

أي في مقام تدوم إقامتهم فيه لأن الجنة تصير مقيم لا ينفذ ولا يتحول ولا ينضب معينه، أي مجلس يأمنون فيه من الخوف[6].

ومما سبق يتضح أن مادة (قيم) ومفردة قيمة، استعملت في اللغة العربية في معان عدة منها:

1. الاستقامة على أمر الدين والثبات عليه وحسن الخلق.
2. بيان أن الإسلام هو الدين الحق وكتابه حق.
3. بيان قيمة الشيء وثمنه.
4. نظام الولاية والإمرة وتدبير شؤون الأسرة خاصة والعشيرة والقوم عامة.

الفرع الثاني:تعريف القيم اصطلاحاً: نجد تباين كبير واختلاف حول تعريف القيم تبعاً لاختلافات المذاهب الفكرية واختلافات مجالات القيم وارتباط القيم في الأصل بالتراث الفلسفي، ونحاول أن نتناول عدداً من التعريفات لأبرز المدارس في الفكر الغربي والإسلامي ثم نعلق على ذلك جملة:

([1])سورة البينة: (3).

([2])جمال الدين مكرم، لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين، دار الحديث –القاهرة، مصر، 1432هـ- 2003م، 7/548- 550.

([3])سورة الشورى: (45).

([4])تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، قدم له وراجعه: الأستاذ مروان سوار، دار المعرفة، بيروت –لبنان، ص645.

([5])سورة الدخان:(51).

([6])تفسير الجلالين، مصدر سابق، ص659.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

أولاً: القيم في المدرسة الفلسفية المثالية: فلسفة هذه المدرسة قائمة على أن (القيم الخلقية انفعالات ومشاعر وجدانية غير ثابتة وأنها نسبية ومطلقة فهي لا تثبت ولا تستقر)[1].

ويجمع عالم القيم المثالي ما عُرف بمثلث أفلاطون رائد هذه المدرسة (الحق، الخير، الجمال) وهي مدرسة تعلي من شأن العقل والروح ولها توجهاً أخلاقياً كبيراً.[2]

ثانياً: القيم في المدرسة الفلسفية الواقعية، تعتبر هذه المدرسة عكس المدرسة المثالية من حيث وضع القيم فهي تعتبر القيم الخالدة مستمرة وثابتة وعامة، والقيم في أساسها معايير خلقية تحكم حركة الإنسان في عمومه[3].

ثالثاً: القيم في المدرسة الفلسفية البراجماتية، تعتبر هذه المدرسة السلوك الإنساني تجاه الأشياء هو الذي يحدد قيمتها بمعنى أنه لا توجد للقيم طبيعة مطلقة، وأصحاب هذه المدرسة القيم عندهم بمثابة وسائل لتوضيح الأفكار وأدوات للوصول إلى الحقيقة[4].

رابعاً: وهناك من يعرف القيم من جهة أنها هي السلوك المطلوب والمرغوب تحقيقه في الإنسان (القيم هي المبادئ والمقاييس التي تعتبر هامة لنا ولغيرنا ونطالب بتحقيقها، وتعتبر أيضاً توقعات سلوكية إيجابية و تفضيلات أقرها جزء كبير من المجتمع)[5].

([1])مدرسة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، المقدمة، د.مرزوق بن صنيتان بن تنباك، وآخرون، الرياض،دار رواح للنشر والتوزيع، 1421 هـ، (د،ط)،(د،ت)، ص53.

([2])أخلاقيات مهنة التعليم العام،د.حمدان بن أحمد الغامدي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، 2007م،ص13.

([3])المرجع نفسه، ص14.

([4])أخلاقيات المهنة في الإسلام وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية،د.عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الطبعة الثالثة، العبيكان للنشر، الرياض، 2014م، ص28.

([5])قيم وأخلاقيات العمل والإدارة، د. مدحت محمد أبو النصر، الطبعة الأولى، الناشر: الدار العلمية للنشر والتوزيع، 2008م،ص62.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

خامساً: وأما القيم في الإسلام هي (فضائل خلقية وهي المعيار السلوكي للمسلمين جميعاً تقدم أعمالهم في إطار أهداف الدين الإسلامي الحنيف، فالمسلم الحق ذو أخلاق إسلامية وملتزم بالقيم التي دعا الله إليها في كتابه الكريم والنبي ﷺ في سنته النبوية الشريفة)[1].

سادساً: وبالاستفادة من التعريفات السابقة وخاصة التعريف الخامس يخلص الباحث للتعريف المختار التالي: القيم هي فضائل خلقية مرغوب فيها، وقواعد ثابتة ومطلقة خاصة في أصولها وأهدافها، وأن مصدرها الوحي الإلهي من كتاب وسنة، وبقدر التزام الأفراد والمجتمع بهذه القيم يستطيعون تحقيق ما يطمحون إليه من أهداف في هذه الحياة.

وبالنظر إلى التعريفات السابقة نسجل الملاحظات التالية:

1- تباين مواقف المدارس الفلسفية في أن القيم نسبية.

2- نلاحظ أن هناك قدر من التوافق بين المدارس على اختلافها على وجود علاقة ورابط ما بين القيم والأخلاق.

3- تمتاز القيم في الإسلام بربط القيم بالأخلاق الفاضلة الحميدة، وأن مصدرها من حيث المشروعية هو الكتاب والسنة، بخلاف القيم في الفكر الغربي أن مصدرها هو العقل أو الروح أو التجربة أو العرف.

4- أن مفهوم القيم في الإسلام تجده يمتاز بالوضوح والبساطة والشمول والتأكيد على المرجعية الشرعية، بينما مفهوم القيم في الغرب يكتنفه الغموض ويستمد من التفاعل مع البيئة الاجتماعية والاعتداد بالتجارب الفردية والجماعية.

---

[1] أخلاقيات المهن في الاسلام، مصدر سابق، ص29.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المطلب الثالث: تعريف البيعة لغة واصطلاحاً

الفرع الأول: تعريف البيعة لغة:البيعة: الصفقة يتم بموجبها تبادل شيء بمال.

البيعة: المعاهدة على قبول الخلافة أو الولاية والطاعة لصاحبها، أعطى المسلمون البيعة لأبي بكر بعد وفاة الرسول الكريم. والجمع: بيعات[1].

الفرع الثاني: تعريف البيعة اصطلاحاً: عقد بين الأمة والحاكم وترتب البيعة حقوقاً وواجبات لكلا المتعاقدين. وللفقه الإسلامي الفضل في وضع هذا المفهوم التعاقدي للسلطة قبل ظهوره في الفكر الغربي، الذي عرف مفهوم العقد الاجتماعي الذي فيه شبه لعقد البيعة لأول مرة في القرن الثامن عشر الميلادي[2].

صيغة البيعة: يقول عبادة بن الصامت: (بايعنا رسول الله- ﷺ – على السمع والطاعة،في اليسر والعسر،و المنشط والمكره،وألا ننازع الأمر أهله،وعلى أن نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[3]، وأسقط النبي ﷺ لزوم المصافحة عن النساء وأصحاب العاهات والأمراض المزمنة والمعدية لقوله ﷺ (إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة)[4].

ولعل أقرب هذه المعاني المذكورة آنفاً وإن كان بينها تقارب وتشابه من حيث المضمون إلا أن أقربها لموضوع البحث هو الاستقامة والثبات على الشرع، أي الأمر الذي يلزم الشخص نفسه به في كل تصرفاته وشؤون حياته.

([1])المحيط معجم اللغة العربية، أديب اللجمي وآخرون، المراجعة والتنسيق: أديب اللجمي، ونبيلة الرزاز، الطبعة الثالثة، لطباعة أمبريمتو، بيروت ،1996م، 264/1.

([2])البيعة عند مفكري أهل السنة والعقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث- دراسة مقارنة، د أحمد فؤاد عبد الجواد عبد الحميد،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، 1998م، ص18.

([3])صحيح مسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، حديث رقم:1709.

([4])موطأ مالك، باب ما جاء في البيعة، حديث رقم: 3602، سنن الترمزي، باب ما جاء في بيعة النساء، حديث رقم: 1597.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثاني: أهمية الخطبة والظروف المحيطة بها

إن قيام الرؤساء والأمراء بالخطابة في الناس يعربون فيها عن خططهم وسياساتهم كان سلوكاً معتاداً عند العرب والمسلمين، فالخطبة كانت في ظروف محاطة بالعديد من التحديات فهي أول خطبة تُقال في غياب شخص الرسول ﷺ الداعية والمربي والقائد الفذ المُسدد بالوحي والحكمة والخبرة والحنكة السياسية ثلاث وعشرون عاما يعالج أمر الدعوة والسياسة على مستوى الجزيرة العربية وخارجها، في ظل تحديات تستهدف النيل من سلطة الدولة والانتقاص من الدين تمثلت في حركة الردة التي شملت أجزاء متفرقة وقبائل عدة في الجزيرة العربية. وفي ظروف ظهور بوادر صراع سياسي بين أكبر مجموعتين –المهاجرين والأنصار- كان لكل منهما فضله وبلاؤه ومكانته في الإسلام، حول من يكون خليفة رسول الله ﷺ وظهر ذلك جلياً في اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعده يتشاورون ويدبرون لتولية سعد بن عبادة زعيم الخزرج، وسمع بالأمر المهاجرين وحضر إليهم مسرعين كل من أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ، وبعد نقاش وتداول على مستوى النخب الحاضرة والذي كان فيه تطمين للأنصار بأنهم أهل مكارم وفضل ومكانة في الإسلام إلا أن الخلافة هناك من هو أولى بها منهم، وكان لحضور من هم على وعي تام من الطرفين بخطورة الموقف الديني والسياسي وحساسيته وأهميته وأبعاده الاجتماعية، وأيضاً سبق أبو بكر في الإسلام وصحبته ومكانته من رسول الله ﷺ، وعظم الفراغ الذي تركه رسول الله ﷺ كانت مرجحاً لكفة أبي بكر على منافسه سعد بن عباده، وحسم الأمر بالبيعة الخاصة لأبي بكر في سقيفة بني ساعده تم تأكد الأمر بالبيعة العامة [1]، عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا- يريد بذلك أن يكون

([1])الرسول وخلفاؤه، عبدالله عمر خياط، الطبعة الثانية، 1411هـ، ص345- 346.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

آخرهم- فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهدون به هدي الله محمداً ﷺ، وأن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين، فإنه أولى المسلمين بأمركم فقوموا فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بين ساعده وكانت بيعة عامة على المنبر[1].

قام أبو بكر رضي الله عنه متحدياً كل ما ذكرنا من ظروف مستشرفاً لمستقبل واعد واثقاً من نصر الله بعد أن اكتملت له شروط الاختيار بالبيعتين الخاصة والعامة ثم تكلم: فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد: (يا أيها الناس فإني قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرد عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله)[2].

ويُلاحظ مما ورد في الخطبة عامة – أن الخليفة الراشد أبو بكر كانت خارطة الطريق واضحة المعالم لديه، والمنهج عنده راسخ والتربية عميقة، كما يُلاحظ ابتعاده عن إظهار الغلبة والاستعلاء والانتصار على المنافسين وكل ما من شأنه أن يوغر الصدر ويُضعف الصف الإسلامي وهو خلق أحوج ما نكون إليه في واقعنا السياسي المعاصر.

المبحث الثالث: حقوق الإنسان الواردة في الخطبة

الخطبة اشتملت على مبادئ عامة وشاملة لنظام الحكم الرشيد، خطبة أعلن فيها برنامجه السياسي والقضائي العدلي، في إشارة واضحة إلى إعلان مبدأ سيادة

([1])فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالعزيز عبدالله بن باز، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة، 1998م، 13/240.

([2])تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، راجعه وقدم له وأعد فهارسه: نواف الجراح، دار مكتبة الهلال، ط1، 2/512.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

القانون وإعلان المساواة أمام الجميع وهي من أهم سمات الدولة الشرعية، والتأكيد على وجود دستور تسير عليه الدولة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مبادئ وقيم وأخلاقيات قل ما كانت تعرفها الأمم في ذلك الوقت حتى على مستوى المبادئ والأفكار، ناهيك أن تتمتع بها كحقوق تمارسها في حياتها اليومية، وهنا نقدم قراءة وتحليلاً ومقارنة للقيم الإنسانية الواردة في خطبة أول الخلفاء الراشدين مع ما هو وارد في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان عامة والحقوق المدنية والسياسية على وجه الخصوص وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول:مبدأ المساواة:

الفرع الأول: مبدأ المساواة في خطبة الخليفة

قال الخليفة أبو بكر (أني قد وُليت عليكم ولست بخيركم) المساواة من المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، وهي تساهم في بناء المجتمع المسلم،وسبق بها الإسلام التشريعات والقوانين والاتفاقيات والمعاهدات الأممية، والتي لم تحقق المساواة في الواقع بالمستوى المطلوب لا بين الدول ولا الأفراد رغم المناداة بهذه القيم. وفي الإسلام أن الناس جميعاً سواسية؛ الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، العرب والعجم، وألغى الإسلام جميع الفوارق بين الناس بسبب الجنس أو اللون أو النسب أو العرق، وبث في النفوس أن الناس جميعاً أصلهم واحد، قال الله تعالى:{يا **أَيُّهَا** النّاسُ إنّا **خَلَقْنَاكُم** مّن ذَكَرٍ وأُنثى **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ۚ إِنّ **أَكْرَمَكُمْ** عِند َ**اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** إِنّ **اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** }[1].

يخبر الله تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد وجنس واحد كلهم من ذكر واحد هو (آدم) وأنثى (حواء) وأن الله جعل من هذا الأصل رجالاً كثيراً ونساءً عن طريق التناسل وفرقهم في البلدان والأمصار وجعلهم شعوباً وقبائل، ليحصل بذلك

([1])سورة الحجرات: (13).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

التعارف والذي يترتب عليه القيام بواجب النصرة والتعاون على البر والتقوى والتوارث حسب لحمة النسب والمصاهرة.

أما التفاضل بين الناس فيخضع لمعيار التقوى أي أكثرهم طاعة لله وبعدٌ عن المعاصي أي لا مجال للشرف بالنسب أو الجاه أو السلطان.

وكان رسول الله ﷺ من خلال تربيته لأصحابه يعمل على غرس مبدأ المساواة قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[1].

الفرع الثاني:من تطبيقات المساواة في عهد الصديق ﷺ:

- جاءت ممارسة الصديق العملية موافقة لما أعلنه في خطبة بيعته؛ حيث كان ينفق من بيت مال المسلمين فيقسم بالسوية، فكان يساوي بين الناس في العطاء وعندما اعترض عليه بعض الصحابة ومن بينهم عمر بن الخطاب ﷺ جميعاً، بأنه كيف يساوي في العطاء بين أهل السبق والفضل في الإسلام وما دونهم ممن هم من عامة الناس، فكان رأيه أن الفضل والسبق في الإسلام ثوابهم فيه من عند الله، أما معاش الناس فالأسوة فيه خير من الأثرة؛ أي المساواة فيه خير من الإيثار والتفضيل[2].
- عدم استئثاره بمال أو نفقة، ومما يؤكد عدم استئثاره بمال أو نفقة أن زوجته اشتهت حلوا، فقال: ليس لنا ما نشتري به، فقالت: أنا أستبقي من قوتنا في عدة أيام ما نشتري به، قال: أفعلي، ففعلت ذلك وجمعت في أيام كثيرة مبلغ يسير، وأعطته المبلغ ليشتري لهم ما اشتهت، أخذ المبلغ ورده إلى بيت المال على اعتبار أنه فائض عن النفقة، بل لم يكتف بهذا إذ أسقط من النفقة المقررة له مقدار ما نقص كل يوم[3].

([1])سورة الكهف: (110).

([2])الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، د.علي محمد الصلابي، الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات، 2000م، ص157.

([3])الدولة الراعية في الإسلام – دارسة في أصول الحكم الإسلامي الرشيد، د.سيدي محمد ولديب ،الطبعة الأولى،دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع- الأردن عمان، 2015م، ص179- 180.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

هذه نماذج محدودة أتينا بها لبيان كيف أن الخليفة الأول اتبع القول بالعمل، وأن خطبته كانت برنامج للعمل، وليس دعاية سياسية، رضي الله عن الصديق لم يكن ليتميز عن رعيته في شيء، واختار أن يعيش كحال أبسط رعاياه، ولم يكن ممن أثرى على حساب السلطة بل السلطة كانت سبباً في إفقاره.

ومما سبق نخلص لتقرير عدد من المبادئ والقيم:

1- تواضع أبي بكر وخشيته وتقواه لله تعالى وإلا أن خيريته ثابتة بالأدلة النقلية والبراهين العقلية ولا ينازع في ذلك إلا صاحب غرض أو مرض.

2- دلالة جواز ولاية المفضول مع وجود الفاضل كما هو الشأن في إمامة الصلاة.

3- تهدئة النفوس وتطييب الخواطر لمن كان يرى أنه أحق بالخلافة بحكم بشرية الناس، ولكن جرت الأقدار بخلاف ذلك واختار الناس أبا بكر.

4- القضاء على الغرور والاستعلاء لمن يظنون أنهم فوق الناس، وكذلك محاربة روح الهزيمة والضعف فيمن يعتقدون أنهم دون الناس.[1]

الفرع الثالث: مبدأ المساواة في المواثيق الدولية:

أولا: يوصف ميثاق الأمم المتحدة بأنه هو الذي وضع حجر الأساس للقانون الدولي لحقوق الإنسان لأنه ساهم ولأول مرة في تدويل حماية حقوق الإنسان، والذي كانت تتخوف منه بل تعارضه دول كبرى كالاتحاد السوفيتي سابقاً، والمملكة المتحدة إيراد إشارات عامة لحقوق الإنسان في ميثاق الأمم المتحدة، وذلك في عدة مواضيع بدءاً بالديباجة والمواد (1، 13، 55، 62، 68، 76) ولكن ذهب الرأي الغالب في مؤتمر سان فرانسيسكو الذي أقر فيه ميثاق الأمم المتحدة في عام 1945م لصالح تأييد تلك الإشارات القاضية بوجوب

([1])القيم بين الإسلام والغرب- دراسة تأصيلية مقارنة، مانع بن محمد بن المانع، دار الفضيلية-الرياض- السعودية، 2005م، ص37.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية[1]. وهذا يؤكد سبق الإسلام وتقدمه في الإقرار بقيم حقوق الإنسان وحرياته الأساسية على المجتمع الدولي الذي كان يتجادل في مجرد إيراد إشارات عامة عن حقوق الإنسان حتى منتصف القرن العشرين، واليوم يدعي بأنه واضع حقوق الإنسان وحاميها، وما كان الإصرار في الأصل على إدخالها في ميثاق الأمم المتحدة إلا نتيجة للمآسي التي شهدها العالم في الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ثانيا: المساواة لها مظاهر وأبعاد كثيرة في المواثيق الدولية ولكن الذي يهمنا هنا هو بيان ما ورد في المواثيق الدولية في شأن المساواة بين جميع الناس في الحقوق عامة، والمساواة في الاعتراف بالأهلية القانونية بصفة خاصة دون اعتبار لأي نوع من أنواع التمييز.

ثالثا: وبخصوص المساواة في الحقوق، نجد أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نص على: (يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، ولكل الناس الحق في التمتع بكافة الحقوق الواردة في الإعلان دون اعتبار لأي نوع من أنواع التمييز)[2]. ونص العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية على (ضرورة احترام الدول الأطراف في العهد باحترام الحقوق المعترف بها، وضمان كفالتها للجميع، دون اعتبار لأي نوع من أنواع التمييز، وتتعهد كذلك الدول الأطراف بكفالة تساوي الرجال والنساء في حق التمتع بجميع الحقوق المدنية والسياسية الواردة في العهد)[3]. هذا كما نص العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية الثقافية على المساواة التامة بين الذكور والإناث في الحقوق الواردة في العهد[4].

([1])القانون الدولي لحقوق الإنسان- المصادر ووسائل الرقابة،د. محمد يوسف علوان ومحمد خليل الموسى، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع- عمان، 2009م،1/49- 51.

([2])الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المواد(1، 2).

([3])العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المواد: ((2- 1)، 3).

([4])العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المادة (3)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

رابعا: أما المساواة أمام القانون والمساواة في الاعتراف بالشخصية القانونية- فقد نصت عليها العديد من المواثيق حيث جاء في الإعلان العالمي (لكل إنسان الحق في أن يُعترف له بالشخصية القانونية، والناس سواسية أمام القانون لهم الحق في التمتع بحماية متكافئة دون أي تفرقة أو تمييز)[1]. ونص العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية على أن (لكل إنسان في كل مكان الحق بأن يُعترف له بالشخصية القانونية)[2]. وجاءت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة أكثر سفوراً ووضوحاً في هذا الجانب إذ نصت على (اعتراف الدول الأطراف للمرأة بالمساواة مع الرجل أمام القانون، وأن تمنح الدول الأطراف أهلية قانونية للمرأة مماثلة لأهلية الرجل في الشؤون المدنية، وفي جميع مراحل الإجراءات القضائية، ونصت كذلك على القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في المسائل المتعلقة بالزواج والعلاقات العائلية، من عقد للزواج وفسخه، وأن تكون للمرأة نفس الحقوق التي للرجل فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال)[3]. وعرفت الاتفاقية مصطلح التمييز ضد المرأة بأنه (أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس وتكون من آثاره أو أغراضه، توهين أو إحباط الاعتراف للمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية أو في أي ميدان آخر، أو توهين أو إحباط تمتعها بهذه الحقوق أو ممارستها لها، بصرف النظر عن حالتها الزوجية وعلى أساس المساواة بينها وبين الرجل)[4].

([1])الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المواد(6، 7).

([2])العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المادة (16).

([3])اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، المواد (15- الفقرات(1، 2)، 16).

([4])اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة ، المادة (1).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

موقف الإسلام من المساواة التي نادت بها المواثيق الدولية:

الإسلام يقر بالمساواة بين المرأة والرجل في الكرامة الإنسانية؛ قال تعالى:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُم فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[1].

وساوى بينهم في الأصل الإنساني؛ قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً}[2].

وساوى بينهم في الحساب والجزاء؛ قال تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فلنحيينه حَيَاةً طَيِّبَةً }[3].

ولكن المساواة المطلقة بين المرأة والرجل في الحقوق المدنية والسياسية كما تدعوا إليها المواثيق الدولية تتعارض مع الشريعة الإسلامية في العديد من المسائل نلخصها إجمالاً فيما يلي:

1- ولاية المرأة لرئاسة الدولة.
2- المساواة في الشهادة.
3- عدم اشتراط الولي في النكاح.
4- زواج المسلمة من غير المسلم.
5- الحق في القوامة، والوصاية ، وفسخ العقد.
6- الحرية في السفر والتنقل والسكن.

هذه كلها قضايا وموضوعات تتعارض مع نصوص من الكتاب والسنة وأقوال صريحة لجمهور الفقهاء، وموضوع البحث لا يحتمل الاسترسال في بيان الأحكام التفصيلية لكل منها.

([1])سورة الإسراء، الآية: 70.
([2])سورة النساء، الآية: 1.
([3])سورة النحل، الآية: 97.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المطلب الثاني: العون والتقويم (حق حرية الرأي):

الفرع الأول:المشاركة في الشأن العام في خطبة الخلافة

قال الخليفة الأول: (إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني).

أشار الخليفة الأول في هذه الفقرة من خطبته إلى إقرار مبادئ أساسية فيما يتعلق بواجب العون والتقويم من قبل الرعية إلى الراعي والموجهات والضوابط التي تحكم ذلك والتي يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

أولا: العون في المعروف: ولي الأمر العادل الذي يراعي حقوق الله وحقوق العباد له على الرعية حق الولاء والنصرة والتأييد والعون في كل أوجه المعروف، وذلك بإعانته ومساعدته والوقوف بجانبه وتحمل أعباء ومسؤوليات تسيير الدولة في كافة مرافقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي كل ما يقوم به من أعمال الخير امتثالاً لقوله تعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}[1]، فولي الأمر هو أحق الناس بالإعانة لأن في صلاحه صلاح للمجتمع ولكونه هو الشخص الذي يمثل كيان الدولة في الداخل والخارج.

ومن صور إعانته الدفاع عنه من كل خطر يتهدده في نفسه وحكمه والدفاع عنه باللسان والسنان حسب ما يتطلبه الموقف[2].

الفرع الثاني:طلب النصح والتقويم: طلب القيام بهذه الوظيفة من المجتمع المسلم دليل على اعتراف الخليفة الأول للأمة بحقها في رقابة الحاكم، وفيه استنهاض للهمم وبسط للشورى وإطلاق لحرية الرأي واعتراف بالرأي العام وأهميته، وكذلك اعتراف بالنقص، فالحاكم مهما كانت مؤهلاته وقدراته وخبراته إلا أنه بشر يعتريه ما يعتري

([1])سورة المائدة، الآية: (2).

([2])سلطة ولي الأمر في تقييد سلطة القاضي،د.محمد بن عبدالله بن محمد المرزوقي، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان – الرياض، 2004م، ص31- 33.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

سائر البشر من النقص والتقصير لاسيما مع عظم المسؤوليات وكثرة التحديات في الدولة المعاصرة.

وهذه كلها قيم المجتمع المسلم بحاجة إليها من أجل أن يقوم بدوره المنوط به تجاه مناصحة ولاة الأمر من الحكام والأمراء، وحق الأمة في رقابة حكامها نصت عليه الكثير من الأدلة من بينها أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة، قلنا لمن ؟، قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[1]، وفي الحديث تأكيد على أن الدين هو النصيحة أي لا يكون دين بلا نصيحة، والنصيحة هي إخلاص الشرع وإتقانه، والنصيحة لله هي الإخلاص والخضوع له، والنصيحة للرسول ؛ تصديقه فيما أخبر وإتباعه فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر.

أما النصيحة (لأئمة المسلمين) وهي محل الشاهد عندنا ؛ الأئمة هم من يأتمر الناس بأمرهم سواء كانت الإمامة إمامة علم أو إمامة إمارة، وبدأ النبي بلزوم النصيحة للأئمة قبل العامة على الرغم من أن العامة ربما يكونون أحوج من غيرهم للنصيحة، وذلك لما يُفترض أن يكون عليه الأئمة من علم ودين وصلاح، ولكن تقدموا على العامة لأن في صلاح الأئمة والأمراء صلاح للعامة، وتكون نصيحتهم بأن تحب لهم ما تحب لنفسك[2].

وقال الفوزان: (إن ولي الأمر لا يُشترط فيه أن يكون كاملاً، يكون عنده أخطاء، وشيء من المخالفات، لكن يُطاع ولو كان فاسقاً، وعنده مخالفات لا تصل إلى حد الكفر، فإنه تجب طاعته مع المناصحة له)[3]. وما قال به الفوزان وقال به الكثيرون من غيره في الحقيقة أمر غاية في الأهمية لكونه قد يلتبس على بعض الناس، ويذهب إلى القول بأن الحاكم الذي تجب طاعته هو من كان تقياً نقياً.

([1])صحيح مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: 55.

([2])التعليق على صحيح مسلم، محمد صالح العثيمين، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد -الرياض، 1/240- 241.

([3])مجموعة رسائل دعوية ومنهجية،د.صالح بن فوزان الفوزان، جمع وإعداد، عادل بن علي الغريان، الطبعة الأولى، الميراث النبوي للنشر والتوزيع – الجزائر، 1431هـ- 2010م، ص194- 195.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

آليات النصح والتقويم:

إن القيام بواجب النصح والتقويم في الدولة المعاصرة أصبحت له مؤسسات وقنوات سياسية ودينية تقوم به بدرجة أساسية مع عدم إلغاء دور الأفراد، ومن أهم هذه المؤسسات في السودان مثلاً نذكر ما يلي:

(1) **المجالس النيابية:** نجد في السودان على المستوى القومي له مجلسان، المجلس الوطني (البرلمان) ومجلس الولايات ويطلق عليهما الهيئة التشريعية القومية؛ والتي تمثل الإرادة الشعبية ونجد ضمن مهامها السياسية والتشريعية، مراقبة السلطة التنفيذية القومية وترقية نظام الحكم اللامركزي[1].

(2)- **منظمات المجتمع المدني:** هي المنظمات المستقلة والتي يحكم عملها نظام قانوني أو مجموعة قواعد متفق عليها، وتتكون منظمات المجتمع المدني من (المنظمات غير الحكومية، النقابات، اتحادات أصحاب العمل، الأكاديميين، المؤسسات الدينية، ووسائل الإعلام، ، ، ألخ).

والمجتمع المدني يضمن مراقبة الدولة وتشجيع المشاركة الواسعة في اتخاذ القرار، ومحاربة الفساد[2].

(3)- **مؤسسات الاجتهاد الجماعي:** نجد في العالم الإسلامي اليوم العديد من مؤسسات الاجتهاد الجماعي المستقلة منها والرسمية، وتضم في عضويتها الكثير من العلماء من مختلف التخصصات، ومؤسسات الاجتهاد الجماعي تعتبر الأسلوب الأمثل(لإحياء فريضة الاجتهاد الفقهي على وجه الخصوص وممارسته لاستنباط أحكام الدين التي تضبط كل شُعب الحياة حتى يتمكن المجتمع والدولة والفرد أن يعبدوا الله على بصيرة)[3].

([1])دستور جمهورية السودان الانتقالي لعام 2005، المادة (91- 1).

([2])الحكم الرشيد في التجربة الدولية،د.أحمد المفتي، الطبعة الأولى، شركة مطابع العملة- الخرطوم،2006م، ص42،36،35.

([3])قانون مجمع الفقه الإسلامي السوداني لعام 1998م، المادة (5- جـ)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومن مؤسسات الاجتهاد الجماعي في السودان نجد:

أولاً: مجمع الفقه الإسلامي: التعريف: مجمع الفقه الإسلامي هو هيئة مستقلة تهتم بالفقه والبحث والفتوى، لها شخصيتها الاعتبارية، مقره بولاية الخرطوم، ويتبع لرئاسة الجمهورية[1].

ولمجمع الفقه الإسلامي العديد من المجالات والاختصاصات التي تمكنه من تقديم المقترحات التي يراها مناسبة والخيارات الفقهية الأرجح لرئيس الدولة أو أجهزتها المختلفة سواء كان ذلك بطلب منهم أو

ثانياً: هيئة علماء السودان: تقلبت هيئة العلماء في العديد من المسميات بدءاً بمشيخة العلماء الأولى في بدايات القرن العشرين، إلى أن تأسست الهيئة بشكلها الحالي 1999/12/1م.

جاء ضمن أهداف الهيئة المتمثلة في نشر العلم وتبليغ الدعوة وجمع الصف وتوثيق الصلة بين العلماء في الداخل والخارج؛ إسداء النصح للراعي والرعية وإصلاح الفرد والمجتمع[2].

ومن المفيد لمثل هذه المؤسسات أن تكون مستقلة إدارياً ومادياً عن الدولة ولكن واقعياً لا يتصور الباحث ذلك إلا بعد أن تستقل مؤسسات الوقف الخيري ويقوى عودها، بحيث توفر الدعم المادي اللّازم لمثل هذه المؤسسات ونحوها.

(4)- **الرأي العام ودوره في الرقابة:** الشريعة الإسلامية حفلت بالرأي العام في العديد من الموضوعات نذكر من أهمها ما يلي:

الشورى: وتعتبر مظهر من مظاهر احترام الرأي العام وإبراز أثره ودوره في كل القضايا السياسية التي تهم المجتمع والدولة، قال الله تعالى:{وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ }[3].

([1])قانون مجمع الفقه الإسلامي لعام 1998م، المادة (4)، بتصرف - موقع وزارة العدل -السودان www.goj.gov.sd

([2])النظام الأساسي لهيئة علماء السودان- المادة (3).

([3])سورة الشورى، الآية: (38).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الإجماع: يحتل الإجماع المكانة الثالثة بعد القرآن والسنة في مصادر التشريع الإسلامي الرئيسة، وهو الوصول إلى الحكم الشرعي في القضايا التي لم يرد بشأنها نص، والإجماع ضمن شروطه وضوابطه التي قال بها العلماء دليل وبرهان ساطع على الاعتداد بالرأي العام[1].

ضوابط حرية الرأي:ونورد هنا بعضاً من ضوابط حرية الرأي:

1- الالتزام بالصدق:

والصدق خلق إسلامي كريم حثت عليه العديد من الآيات والأحاديث النبوية. قال الله تعالى:{يَاأَيُّهَاالَّذِينَآمَنُوااتَّقُوااللَّهَوَكُونُوامَعَالصَّادِقِينَ}[2].

ونهى رسول الله ﷺ عن الكذب والغش والخداع، وحذر الأمراء وولاة الأمر من مغبة ذلك حيث يقول الرسول ﷺ: (ما من عبد يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[3].

وقال الصديق ﷺ في خطبته بعد أن طلب العون في المعروف والنصح والتقويم عند الخطأ أو التقصير مقرراً بذلك الاعتراف بحرية الرأي ومعلناً في ذات الوقت موجهاً وضابطاً لتلك الحرية، يلتزم به كل من الحاكم والمحكوم ألا هو **(الصدق أمانة، والكذب خيانة)**. والصدق هو التزام الحق ونقيضه هو الكذب، والحاكم الصادق مع الله هو صادق مع الناس، والذي يكذب على الله فمن باب أولى أن يكذب على الناس.

ومن الصدق الابتعاد عن الخداع وتلبيس الحق بالباطل والإصرار على تجريم الحكومات والهيئات من غير وجه حق.

2- سلامة القصد وصحة التوجه، أي أن يكون القصد المصلحة العامة، وجلب النفع ودفع الضرر عن الأفراد والجماعات، والابتعاد عن الفخر والرياء.

([1])الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، د. رحيل غرايبه، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت- لبنان، 2012م، ص459- 460.

([2])سورة التوبة، الآية: (119).

([3])صحيح مسلم،باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، حديث رقم: 142.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

3- الموازنة بين المصالح والمفاسد بحيث إذا أنكر المنكر لا يحدث منكراً أسوأ منه أو مفسدة أعظم من المنكر الأصلي[1].

4- مراعاة المبادئ الإسلامية والعقيدة الإسلامية فلا يجوز الطعن في الإسلام أو رسوله ﷺ.

5- التقيد بالأخلاق الإسلامية فلا يجوز سب الناس أو الطعن في أعراضهم أو التشهير بالتشفي لفضح الناس وتتبع عوراتهم[2].

الفرع الثاني:حق حرية الرأي والتعبير في المواثيق الدولية:

تناولت العديد من المواثيق الدولية حرية الرأي والتعبير، نذكر من أهمها ما يلي:

1- لكل إنسان الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل ذلك حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون التقيد بالحدود الجغرافية[3].

2- حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية[4].

3- لكل إنسان الحق في اعتناق الآراء دون مضايقة.

4- لكل إنسان الحق في حرية التعبير، ويشمل الحصول على المعلومات والأفكار وتلقيها ونشرها[5].

القيود الواردة على حق حرية التعبير:

الحق في حرية التعبير الوارد في الفقرة (2) من المادة (19) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية يخضع للقيود التالية:

1- احترام حقوق الآخرين وسمعتهم.

2- حماية الآمن القومي والنظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة[1].

([1])الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية، مصدر سابق، ص323- 328.

([2])الكلمة في الإسلام ودورها مسؤوليتها، د.أسامة ظافر كباره،الطبعة الأولى، دار لنهضة العربية، بيروت-لبنان، 2012م، ص63.

([3])الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادة: 19.

([4])الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادة (20- 1).

([5])العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المادة (19، الفقرتان (1، 2)).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومما سبق نسجل الملاحظات التالية:

1- نجد اتفاق بشكل عام بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية حول الإقرار بحرية الرأي والتعبير.

2- وضعت المواثيق الدولية بعض القيود على حرية التعبير بينما لم تضع أي قيد على حرية الرأي.

3- يُؤخذ على المواثيق الدولية عامة والمواثيق محل الدراسة خاصة أنها لم تضع أي قيد لحماية عقائد الشعب أثناء استخدام الإنسان لحقه في حرية الرأي أو التعبير.

المطلب الثالث: مبدأ العدل:

الفرع الأول:مبدأ العدل في خطبة الصديق

قال أبو بكر الصديق ﷺ: (الضعيف قوي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله).

أولا- مفهوم العدل: العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه أي إنصاف الناس

قال الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ}[2].

اختار شيخ الإسلام ابن تيمية أن المراد بالميزان: العدل، والميزان الذي يوزن به. قال رحمه الله في هذه الآية: (الميزان فسره السلف بالعدل، وفسره بعضهم بما يوزن به وهما متلازمان)[3].

وكذلك قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في الآية الكريمة (والميزان) يعني أن الله جل وعلا هو الذي أنزل الميزان والمراد به العدل والإنصاف[4].

([1])العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المادة (19).

([2])سورة الشورى، الآية: (17).

([3])اختيارات ابن تيمية في التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم / جمعاً ودراسة، د. إبراهيم بن صالح الحميضي، الطبعة الأولى، دار التدميرية- الرياض، 1434هـ/2013م، 1/386.

([4])أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية –القاهرة، 1408هـ/1988م، ص183.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والعدل له ميادين كثيرة ؛ العدل السياسي الذي ينظم العلاقة بين الفرد والدولة، والحاكم والمحكوم، وبه تُساس الرعية وتُحفظ الحقوق، والعدل القضائي الذي يفصل في المنازعات والخصومات سواء كان ذلك الفصل في الخصومات بين الأفراد، أو كان بين الأفراد والدولة، والعدل الاقتصادي في البيع والشراء، والمعاملات، والثروة والموارد المالية، والعدل الاجتماعي المتعلق بتكريم الإنسان وحقه في المساواة ونبذ العنصرية، والعدل مع الفقراء والمحتاجين[1].

إن كل أحكام الدين الإسلامي مبنية على العدل وهو مطلوب في كل المجالات والميادين إلا أن الذي يظهر أن المقصود هنا هو العدل السياسي والقضائي.

ثانيا- من مقتضيات العدل وخصائصه:

نورد من أهم مبادئ العدل وخصائصه ما يلي:

1- أن إقامة العدل بين الناس أفراداً وجماعات ودولاً ليس من الأمور التطوعية الاختيارية التي تترك لمزاج الحاكم أو الأمير وهواه، بل إن إقامة العدل بين الناس يعد من أقدس الواجبات، قال الله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}[2].

2- تحقيق العدل بين الناس هو من أسمى أهداف الرسالات السماوية، قال الله تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ }[3]، وقال تعالى:{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}[4].

([1])الأمة في معركة تغيير القيم والمفاهيم، تقرير استراتيجي محكم يصدر سنوياً عن مجلة البيان، الإصدار الثامن، أعد التقرير بالتعاون بين مجلة البيان والمركز العربي للدراسات الإنسانية بالقاهرة، 1432هـ، ص17.

([2])سورة النساء، الآية: 58.

([3])سورة الحديد، الآية:25.

([4])سورة ص، الآية: 26.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

قال السعدي: يخاطب الله تعالى داود جعلنا لك سلطة تنفيذ القضايا الدينية والدنيوية، فعليك أن تحكم بالعدل، وهذا لا يحصل إلا بعلم بالواجب، ودراية بالواقع، وقدرة تنفيذ الحق، لأن كل واجب هو واجب مع القدرة والاستطاعة، ثم نهاه عن الميل أو الانحياز على أحد الأطراف لاعتبارات القرابة أو الصداقة أو المحبة، أو البغض لآخر، وسبب النهي عن الهوى هو لما يترتب عليه من الخروج عن الصراط المستقيم وسوء العاقبة والحساب[1].

ومن هنا تتضح خطورة المناصب المتعلقة بالولايات العامة كالقضاء والإمارة وما تتطلبه من مؤهلات علمية وقدرة شخصية ودراية ومعرفة بالواقع والبيئة، وقبل كل ذلك صلاح واستقامة في الدين تجعل صاحبها ملازماً للحق، ومجافياً للباطل.

ثم إذا كان هذا هو الشأن مع نبي الله داود عليه السلام، على الرغم مما آتاه الله من الحكمة وفصل الخطاب، فما بال الحكام والقضاة الآخرين.

3- العدل هو المساواة أمام النص التشريعي، أو ما يسمى بالعدالة القانونية وهي كون التشريع في خطابه وتطبيقه موجهاً للجميع لا فرق بين شخص وآخر وهذا ما قرره الرسول ﷺ عندما أهم قريشاً أمر المخزومية التي سرقت فطلبوا من أسامة بن زيد ﷺ أن يشفع فيها، فغضب رسول الله ﷺ وخطب في الناس قائلاً:(أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[2].

4- من كمال هذا الدين أن العدل واجب على المسلمين مع كل أحد حتى مع العدو الكافر امتثالاً لقول الله تعالى:{ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد

([1])تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيوت لبنان، 1420هـ، ص712.

([2])صحيح مسلم، باب قطع يد السارق الشريف وغيره، حديث رقم: 1688.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)[1].

5- العدل عز للحاكم والمحكوم؛ قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ...}[2].

6- سيادة العدل تؤدي لحياة المجتمع وسيادة الأمن فيه، وإلى ازدهار الحياة المدنية، والظلم والجور خراب للأمن وفساد لضمائر الخلق.[3]

هذه بعض مبادئ العدل وخصائصه التي توضح سمو الشريعة الإسلامية ونبل أهدافها وغاياتها، وحرصها على إقامة العدل بين الناس، وكيف أن العدل هو حصن للراعي والرعية وأمان للدولة من الدسائس والتآمر ومحاولات تقويض الأنظمة الحاكمة.

الفرع الثاني:العدل في المواثيق الدولية:

إن ميثاق الأمم المتحدة الصادر في عام 1945م، في الفصل الأول منه والخاص بالمقاصد والمبادئ نجده نص على الآتي:

1- مبدأ المساواة بين جميع الدول، واستخدام الوسائل السلمية في فض المنازعات من أجل حفظ السلم والأمن والعدل الدولي.

2- حفظ السلم والأمن الدوليين وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي[4].

❖ ورد في ديباجة كل من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية الثقافية ؛ أن الاعتراف بجميع أعضاء الأسرة البشرية بالحقوق المتساوية، هو أساس الحرية والعدل والمساواة والسلام في العالم وذلك وفقاً لما ورد في ميثاق الأمم المتحدة.

([1])المائدة، الآية: (2).

([2])سورة النحل، الآية: (90).

([3])موسوعة الأخلاق الإسلامية- علم الأخلاق، د. مقداد يالجن محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض، 1413هـ- 1992م،ص116.

([4])ميثاق الأمم المتحدة ، المواد ((1- 1)، (2- 1)).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ونص الإعلان العالمي على الاعتراف بالشخصية القانونية والمساواة أمام القانون ومنع التمييز لأي اعتبار[1].

ونص كذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية السياسية ؛ على كفالة واحترام الحقوق دون اعتبار لأي تمييز، ومساواة الرجال والنساء في كافة الحقوق المدنية والسياسية[2].

ونص كذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بضمان المساواة بين الذكور والإناث في التمتع بجميع الحقوق الواردة في العهد[3].

ومما سبق نسجل الملاحظات التالية:

(1) إن عبارة العدل وردت ضمن إشارة عامة في مقاصد ومبادئ ميثاق الأم المتحدة التي تسعى لتحقيقها كحفظ السلم والأمن الدوليين، ومبدأ المساواة بين الدول جميعاً، وذلك وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي، هذا مع العلم أن ميثاق الأمم المتحدة هو ميثاق لتنظيم العلاقة بدرجة أساسية بين الدول.

(2) أن المواثيق الدولية وفي مقدمتها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تنادي بالمساواة التامة بين الناس جميعاً باعتبارها أساس العدل ؛ أما في الشريعة الإسلامية المساواة ليست هي العدل في كل الأحوال (لأن الناس ليسوا متساويين في الحقوق، فكيف تكون المساواة بينهم عدلاً مع كونهم متفاوتون في الحقوق)[4] والجدير بالذكر أن المساواة بين الدول هي مساواة سياسية أما من الناحية الفعلية والواقعية نجد أن العلاقة بين الدول تحكمها اعتبارات كثيرة من أهمها أوزان

([1])الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، المواد: (6، 7، 10).

([2])العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المادتان ((2- 1)، 3).

([3])العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، المادة (3).

[4]الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكه، الطبعة الخامسة، دار القلم- دمشق، 1420هـ- 1999م، 624/1.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تلك الدول من الناحية السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية وغيرها مما يعني أن مبدأ المساواة مبدأ نسبي حتى بين الدول.

المطلب الرابع: حق التمسك بالجهاد

الفرع الأول:الجهاد ورد العدوان في خطبة الصديق

قال الصديق ﷺ:(لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل).

إن إثارة الفتن والقتال بين الناس بغيض مذموم لما فيه من إزهاق للنفوس وإتلاف للأموال والممتلكات وتشريد للشعوب وترمل للنساء ويتم للأطفال، إلا أنه سنة من سنن الحياة لوجود النفوس الشريرة الراغبة في الاستعلاء، وسنة التدافع بين الحق والباطل، والصراع في الموارد المادية والبشرية، ولهذا وغيره نجد الحرب ملازمة للبشرية منذ نشأتها وإن اختلفت مساحتها ضيقاً وسعة واختلفت وسائلها وأساليبها من عصر إلى آخر، وكذلك مطامعها وأهدافها[1].

والإسلام مع حرصه وعنايته بقوة المسلمين وإعدادهم أفراداً وجماعة، إلا أنه (لا يعتبر الحرب هي الأصل في الحياة، وإنما يعتبرها ضرورة لدفع العدوان والظلم ويعتبر السلام هو الأصل والهدف الذي يعمل لتحقيقه)[2].

والجهاد فريضة عظيمة ماضية في الناس إلى يوم الدين حتى عده بعض العلماء ركناً سادساً من أركان الإسلام لأهميته وكثرة الآيات والأحاديث الدالة على فضله ومكانته إذ أمر الله المؤمنين بالإعداد الحربي للأعداء، فقال الله تعالى:{وَأَعِدُّوالَهُمْمَااسْتَطَعْتُمْمِنْقُوَّةٍوَمِنْرِبَاطِالْخَيْلِتُرْهِبُونَبِهِعَدُوَّاللَّهِوَعَدُوَّكُمْ }[3]. وجاء

([1])الجهاد في الإسلام، د.عبدالله بن ابراهيم المزاحم، الطبعة الأولى، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1428هـ/2007م، ص143- 154.

([2])الجهاد في الإسلام، محمد شديد، (د،ط) الشعب- القاهرة،(د،ت) 119.

([3])سورة الأنفال، الآية:(60).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الإعداد للقوة نكرة ليشمل جميع أنواع القوة المادية والمعنوية لأن أنواع القوة وأدوات القتال تختلف من عصر إلى آخر.

وحث الله المؤمنين على النفرة للجهاد فقال:{انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }[1].

وكذلك الأحاديث الدالة على فضل الجهاد والتحذير في تركه والانشغال بغيره كثيرة نذكر منها قول رسول الله ﷺ (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)[2].

وعن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[3].

والجهاد كان من أهم وأعظم الموضوعات التي اشتغل بها النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة والإذن له بالجهاد، حيث قاد النبي ﷺ بنفسه (27) غزوة، وأن عدد السرايا التي أرسلها بقيادة أصحابه – رضوان الله عليهم جميعاً- بلغت (47) سرية[4].

وأن للحرب في الإسلام أهداف سامية وغايات إنسانية نبيلة تتمثل في رد العدوان ونصرة المظلوم، ونشر الدعوة، وإعلاء كلمة الله.

وأن الجهاد هو السبيل لوصول دعوة الإسلام إلى الناس كافة والعمل على ازالة كل العوائق والعقبات والحواجز التي تحول بين الناس ووصول الدعوة إليهم صافية نقية، ومن ثم بعد ذلك يترك الناس أحراراً، لأن الإسلام ربط الاعتقاد بالفهم والاقتناع،

([1])سورة التوبة، الآية: (48).

([2])السنن الكبرى للنسائي باب تتجافى جنوبه عن المضاجع، حديث رقم(11330)،سنن الترمذي، باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (2616).

([3])سنن أبي داوود، باب في النهي عن العينة، حديث رقم (3462). الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، باب عقوبة ترك الجهاد في سبيل الله، حديث رقم (4987)

([4])الجهاد في الإسلام، د.عبدالله بن إبراهيم المزاحم، مصدر سابق، ص9.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

والإيمان بالدليل والبرهان، قال الله تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1).

ومن هنا يتضح أن الجهاد بمختلف صوره لا يعني إكراه الناس على اعتناق دين الإسلام بالقوة قهراً كما يصور ذلك بعض الغربيين والمستشرقين بل هو وسيلة لإعلاء كلمة الله وإفساح الطريق وجعله ممهداً للذين يريدون أن يلتحقوا بركب هذه الدعوة طوعاً واختياراً وإزالة العقبات عن طريقهم، وهذا مع التأكيد على أن دين الإسلام هو الدين الحق، قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (2).

ومما يؤكد أيضاً أن الجهاد قد كُتب على المسلمين لضمان حرية نشر الدعوة أن النبي ﷺ كان من هديه عندما يأمر أميراً على جيش أو سرية كان يوصيه في خاصة نفسه بتقوى الله ثم يوصيه بالشأن العام قائلاً له:(إذا حاصرت عدوك من المشركين فأدعهم إلى الله عز وجل فإن استجابوا، وألا فاطلب منهم الجزية، فإن أبو فاستعن بالله وقاتلهم)(3).

وعليه لو كان القصد هو إدخالهم إلى الإسلام جبراً لما أعطيت لهم فرصة أو خيارات أي أن الكفر الأصلي ليس سبباً للقتال وإنما السبب أن يقفوا سداً منيعاً لنشر الدعوة وإبلاغها للناس، رافضين القبول بكل الخيارات السلمية الأخرى، القبول بدعوة الإسلام ويكون بذلك لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أو القبول بالجزية وبقائهم على معتقداتهم بشرط ألا ينازعوا المسلمين في دين ولا سلطان. ولم يلجأ النبي ﷺ للقتال إلا رداً للعدوان ودفعاً للظلم، قال الله تعالى﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ (4).

---

(1)سورة البقرة، الآية: (256).

(2)سورة آل عمران، الآية: (85).

(3)صحيح مسلم، باب تأمير الإمراء على البعوث، حديث رقم (1731).

(4)سورة الحج، الآية: 39.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وأمر الإسلام بوقف الحرب بمجرد طلب العدو للصلح، قال الله تعالى:﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

فلولا الجهاد ورد المعتدين والظالمين المتجاوزين لحدود الله، لأستبيحت الدماء وهتكت الأعراض وهُدمت كل دور العبادة لمختلف الملل والنحل من الأديان السماوية، والإسلام لا يستأسد على الناس بغير هدى من الله، ولا يقبل من أنصاره وأعضائه أن يكون حملاً وديعاً ولقمة سائغة لكل متكبر جبار في الأرض بل يسالم من يسالمه ويُعادي من يعاديه[2].

وأبدى تفهماً لهذا الهدف النبيل للجهاد في الإسلام بعض المنصفين من الباحثين الغربيين (أن الإسلام ليس ديناً سلبياً يدير الخد الآخر، فهو دين يقاتل الطغيان والظلم)[3].

والإسلام لا يكتفي برد العدوان فحسب، بل يسعى لرفع الظلم وإحقاق الحق ونصرة المسلمين المستضعفين، قال الله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[4].

وذلك لأن بين المسلمين ولاء ونصرة وتراحم وتعاون، ومن أوجه نصرة المسلمين اليوم مناصرة قضايا المسلمين في المحافل والمنظمات الدولية، خاصة الأقليات المسلمة في

([1])سورة الأنفال، الآية: 61- 62.

([2])الجهاد في الإسلام، د.عبدالله إبراهيم المزاحم، مصدر سابق، ص167- 169.

([3])سيرة النبي محمد، كارين أرمسترونج، ترجمة د.فاطمة نصر، د.محمد عناني، الناشر شركة سطور –القاهرة، ص259.

([4])سورة النساء، الآية: 75.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

البلاد غير الإسلامية بأن يكفل لهم حق حرية العقيدة والعبادة، وضمان حق المساواة والمواطنة[1].

الفرع الثاني: حق الشعوب والدول في الدفاع عن نفسها:

لا نجد تناول مباشر في المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، لمفهوم الجهاد في سبيل الله بأهدافه السامية وغاياته النبيلة خاصة ما يتعلق منها بنشر الدعوة إلى الله وإعلاء كلمة الله، ولكن هناك تناول من بعض المواثيق الإقليمية لحق الشعوب في رفع الظلم ورد العدوان عن نفسها، وهو أحد أهداف وغايات الجهاد في سبيل الله، ومن أهم هذه المواثيق الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، والذي تميز عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهدين الدوليين، في كونه نص على حق الشعوب في تقرير مصيرها وتحرير نفسها وذلك بكافة الوسائل المشروعة بدءا من ديباجته ومرورا بالعديد من مواد وفقرات الميثاق وذلك على النحو التالي:

أولاً: نص الميثاق في ديباجته- التأكيد على إزالة جميع أشكال الاستعمار من أفريقيا وضرورة والتعاون والتنسيق الإقليمي والدولي من أجل توفير حياة أفضل لشعوب أفريقيا.

ثانيا: التأكيد على الحق في الوجود، وتقرير المصير، وحق الشعوب المستعمرة في العمل لتحرير نفسها من قيود المستعمر بكافة الوسائل المشروعة، وحقها في الحصول على المساعدات من الدول الأطراف في الميثاق في نضالها التحرري ضد السيطرة الأجنبية سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية[2].

ثالثا: حق الشعوب في استرداد ممتلكاتها التي يتم الاستيلاء عليها، مع الحق في المطالبة بالتعويض الملائم[3]

---

(1) الجهاد في الإسلام، أ.د. عبدالله بن إبراهيم، مصدر سابق، ص173- 177.

2- الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، المادة 20 (1، 2، 3).

3- الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، المادة 21 (2).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ونلاحظ أن الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب فيما يتعلق بحق الشعوب في الدفاع عن نفسها وتقرير مصيرها، والتعاون لنصرة المستضعفين من دول الإقليم، والعمل للتحرر من كافة أشكال الاستعمار السياسية واقتصادية والثقافية، يعتبر إضافة حقيقية للمواثيق الدولية لحقوق الإنسان على الأقل من الناحية التشريعية.

المطلب الخامس: مكافحة الفحش والرذائل

الفرع الأول: مكافحة الفحش والرذائل في خطبة الصديق

قال الصديق رضي الله عنه: (لا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء)

وردت ألفاظ الفاحشة ، والفحشاء، والفواحش في القرآن الكريم (24) مرة، وتكرر ذلك في عدد (15) سورة من سور القرآن الكريم[1]. ومن ذلك قوله تعالى"{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَاتعلمون}[2].

وذكر أن سبب نزول هذه الآية هو عندما لبس المسلمون الثياب وطافوا بالبيت عيرهم المشركون باعتبار أن هذا المظهر والسلوك كان بخلاف المألوف عند العرب في جاهليتهم؛ إذ كانوا يطوفون بالبيت وهم عرايا.

والفواحش: هي الأعمال المفرطة في القبح والتي ذكرت الآية بعضاً منها؛ كنكاح الأمهات في الجاهلية، والزنا، والبغي الذي هو الظلم وتجاوز الحد، والشرك بالله، والكذب والافتراء على الله فكلها أعمال قبيحة شرعاً وعقلاً[3].

([1])المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف، د.محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1417هـ/1996م، ص624.

([2])سورة الأعراف، الآية: 33.

([3])الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق، د.ماجد أحمد محمد الطاهر، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة - 1431هـ/2010م، 139/7.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وقال الله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1]، نهى الله عباده عن الزنا وعن الاقتراب من أسبابه ودواعيه وذلك لكونه بئس الطريق والمسلك[2].

الفرع الثاني:الفواحش والرذائل عند الغرب

والفاحشة عند الغرب هي حرية شخصية شأن يخص الطرفان فمتى كان ذلك برضائها واختيارها فلا دخل لأحد، ولا يعد ذلك جريمة أو منكراً، ولكن هذه الحرية المتوهمة هي في الإسلام الزنا بعينه لأن أي علاقة جنسية ما بين رجل وامرأة بعيداً عن الرباط الشرعي الذي هو الزواج هي انتشار للفاحشة تستحق حرباً لا هوادة فيها، وإلا عم البلاء والأمراض المعدية الفتاكة وحصل الضياع للأجيال وانتهكت القيم والأخلاق، والسقوط في مستنقع الرزيلة كما هو حاصل اليوم في الكثير من بلدان العالم[3].

ويظل موضوع الحرب على الفواحش هو موضوع الأمس واليوم والغد، وأن أكثر من تستهدف الفواحش المرأة في دينها وخلقها وعرضها وشرفها، والسعي لاستبدالها بأنماط اجتماعية أخرى كأن يمنح الشواذ جنسياً حقهم في تكوين الأسرة، والعمل على نشر الإباحية، والتشجيع على التحلل، والدعوة للتغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين خارج إطار الزواج الشرعي، باعتباره نوعاً من الحرية الشخصية، وتشجيع منع الحمل وتيسير سبل الإجهاض، إضافة إلى تحديد النسل باسم تنظيم النسل، والتشكيك في اعتبار الأسرة الوحدة الأساسية للمجتمع والانتقاد المستمر لمبدأ القوامة للرجال، وتكسير حواجز الحياء والعفة، والدعوة إلى خروج المرأة دون أي قيود أو ضوابط.

([1])سورة الإسراء، الآية: (32).

([2])تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت –لبنان، 38/3.

([3])المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة (عهد أبي بكر الصديق) د. منير محمد الغضبان، الطبعة الأولى، دار المعرفة للنشر والتوزيع- جدة، 1430هـ/2009م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ثم اتخاذ العديد من الوسائل والتدابير التي تجعل من هذه الأهداف والغايات موضع التنفيذ، من ذلك عقد المؤتمرات الدولية الراتبة وتنوع طرحها وتعدد أساليبها وانتشار الصناديق والمنظمات التي تدعم تلك المشاريع وتوفر لها الأموال والميزانيات اللازمة، وسن التشريعات والاتفاقيات الدولية التي تخدم تلك الأغراض وتتدخل بموجبها في توجيه التشريعات الوطنية، واستخدام وسائل الإعلام وأدوات الاتصال للترويج والإقرار بتلك القيم [1]، والذي لا يخفى عن عاقل أن كل هذه المؤامرات ما هي إلى استهداف للأسرة المسلمة والتي كانت هي آخر الحصون التي بها بقية من دين وخلق ليتم تجريدها من القيم الفاضلة وتلحق بالمرأة الغربية ذلك النموذج الخرب شكلاً ومضموناً.

والحرب على الأخلاق والفضيلة والدعوة إلى الفواحش والرذائل وكل ما هو قبيح دون حياء بادية للعيان.

الفرع الثالث:من وسائل مكافحة الفواحش

أولاً:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [2].

نالت أمة الإسلامية الخيرية بسبب قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي هو سبب لصلاح الحال وردع المعاندين والخارجين عن حدود الله، وتعليم الجاهل وسبباً لظهور الحق، ودفع أسباب الهوان والهلاك عن الأمة، وحفظ أعراضها وحرماتها، والتفريط في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجب

([1])التفكك الأسري -الأسباب والحلول المقترحة،د.أمنية الجابر وآخرون،الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف الشؤن الإسلامية- قطر، 1422هـ/2001م، ص21- 23.

([2])سورة آل عمران، الآية: (110).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

سخط الله، وعتو الفجار والأشرار وانتشار الرذائل، ويكون واجب الأمر بالمعروف أعظم وألزم للأمة كل ما ازداد التعدي على حدود الله[1]، ولعن الله بني إسرائيل بسبب تفريطهم في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ:(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه)[3].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سمة المؤمن الصادق، ومن سمة المجتمع الخير الفاضل، قال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾[4].

إن دعاة الحق المصلحون في المجتمعات صمام أمان وطوق نجاة للشعوب من الهلاك بسبب ظلمها وطغيانها وفسادها في الأرض، وبالعكس أيضاً إذا أفسد المفسدون وسكت المصلحون فالأمة مهددة بالهلاك والخراب[5]، وقال تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾[6].

([1])الاحتساب مسؤولية وحساب، عبد الله فهد السلوم، الطبعة الأولى، السلمان للطباعة- السعودية- الرياض، 1430هـ،ص7- 13.

([2])سورة المائدة، الآيتان: (78،79).

([3])أخرجه ابي داود، باب الأمر والنهي، حديث رقم:4338.

([4])سورة هود، الآية: (117).

([5])الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)، خالد بن عثمان السبت، الطبعة الأولى الأولى، المنتدى الإسلامي- لندن، 1415هـ/1995م، ص81.

([6])سورة الأنفال، الآية: (25).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ثانياً: إقامة الحدود والتعازير:

نصت الشريعة الإسلامية على عقوبات رادعة للجرائم المتعلقة بالفواحش- الزنا والقذف واللواط وغيرها.

1.ففي جريمة الزنا قال الله تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1].

أمر الله المؤمنين بجلد كل واحد منهم مائة جلدة مع عدم الرأفة بهم بل إشهاد طائفة من المؤمنين ليحصل التشهير بهم [2]، وهذه هي عقوبة الزاني غير المحصن، أما بخصوص الزاني المحصن فقال رسول الله ﷺ:{خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة}[3].

2.وفي جريمة القذف، قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [4]، فالآية تحرم القذف وتعاقب عليه بعقوبة أصلية هي الجلد، وعقوبة تبعية هي الحرمان من أداء الشهادة.

3.وفي جريمة اللواط قال تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [5].

وجريمة اللواط من أشنع الجرائم وأقبحها جريمة لم يسبق بها قوم لوط أحدٌ من العالمين، وتدل على انحراف الفطرة أن ينكح الرجل الرجل، ولهذا عاقبهم الله عز

([1])سورة النور، الآية: (2).

([2])روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة الغزالي، دمشق- سوريا 1397هـ/1977م، 40/2.

([3])مسند الشافعي، باب جلد الزنا، حديث رقم(1569)، مسند البزار، الباب، حديث عبادة بن الصامت، حديث(2686).

([4])سورة النور، الآية: (4).

([5])سورة هود، الآيتان: (82- 83).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وجل بأقصى عقوبة؛ إذ خسف بهم الأرض وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود وهي حجارة من طين طبخت بنار جهنم كتب عليها أسماء القوم وأُرسلت متتابعة [1].

والغرض من العقوبة في الفقه الإسلامي هو إصلاح الأفراد وحماية المجتمع وإذا تعذر الجمع بين الأمرين فحماية الجماعة أولى من الفرد، ومن خصائص العقوبة يجب أن تمنع الكافة عن الجريمة قبل وقوعها، وإذا وقعت يجب أن تكون العقوبة المقررة مؤلمة موجعة رادعة للجاني، وزاجرة لغيره، وهذا من أهم ما يميز العقوبات الشرعية[2].

ونجد اليوم أن من أكثر ما يهدد المجتمعات هو انتشار الجريمة والانحراف وتنشيء الدول العديد من الأجهزة والمؤسسات لمكافحة الجريمة وتنفق في ذلك الأموال الطائلة والميزانيات الضخمة ولكن بالمقابل نجد الجريمة في ازدياد وانتشار، وما ذلك إلا لبعد الدول عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالصورة المطلوبة.

ثالثاً: الاهتمام بالأخلاق الفاضلة:

اهتم الإسلام بالأخلاق غاية الاهتمام من أجل استقرار الحياة الاجتماعية، ولكون الأخلاق ضرورة للحياة الإنسانية، وكل مجتمع أُهملت فيه الأخلاق (سادت فيه الخيانة والفسق والكذب والغش وسفك الدماء والتعدي على الحرمات، وزالت كل المعاني الإنسانية من المحبة والمودة والتعاون والتراحم)[3].

وبشيوع الأخلاق الإسلامية الفاضلة في المجتمع تحل الطمأنينة وتتوافر الثقة ويأمن الناس بعضهم بعضاً، ويحصل التناصر والتعاون بينهم في السراء والضراء.

([1])روائع البيان تفسير آيات الأحكام، مصدر سابق، 40/2.

[2]التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبدالقادر عودة، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1404هـ/1984م، ص609- 610.

([3])موسوعة الأخلاق الإسلامية – علم الأخلاق الإسلامية، د. مقداد يالجن محمد، مصدر سابق، ص108.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المطلب السادس: مبدأ طاعة ولي الأمر

الفرع الأول طاعة ولي الأمر في خطبة الصديق:

قال الخليفة الأول:(أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)

إذا قام ولي الأمر بما عليه لله تعالى، وبحقوق رعيته وجبت له الطاعة والنصرة، لأنه من غير نظام وطاعة سوف ينفرط أمر الأمة وتسود فيها أجواء الفوضى والاضطراب.

وطاعة ولي الأمر نصت عليها أدلة كثيرة في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [1].

بعد أن أمر الله الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل في الآية السابقة لهذه الآية، أمر الله الناس أن يطيعونهم وينزلون على رأيهم والمراد بـ(أولي الأمر منكم) أمراء الحق، لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم، ثم عقد المفسر لمزيد من التوضيح والبيان لصفات أولياء الأمر؛ أو من سماهم (أمراء الحق) الذين تجب لهم السمع والطاعة أنهم:

1- يؤدون الأمانات إلى أهلها.
2- يحكمون بالعدل.
3- يتحاكمون لكتاب الله وسنة رسوله في كل ما أشكل عليهم من أمور الدين والدنيا.

أما أمراء الجور فلا يؤدون الأمانة ولا يحكمون بالعدل ولا يردون شيئاً إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإنما يتبعون شهواتهم وأهوائهم وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة[1].

([1])سورة النساء، الآية: (59).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ومن السنة قوله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)[2].

ومنها ما ورد أن النبي ﷺ قال: (على المرء المسلم الطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أُمر بمعصية فلا طاعة)[3].

فهذه الأدلة من كتاب وسنة؛ فيها بيان ساطع على أن طاعة ولي الأمر محددة مقيدة بما لا معصية فيه ولا مخالفة لشرعة الله، فمتى أطاع الله وأطاع الرسول وقام بما أوجبه الله عليه من رعاية حقوق الله وحقوق العباد وجبت لولي الأمر الطاعة وإلا فلا طاعة ولا نصرة.

ولم يطلب الخليفة الأول رضي الله عنه ما لم يوجبه الله له، ولم يطلب طاعة مطلقة، ولا تبعية عمياء، ولا بيعة من غير كتاب ولا دستور، وإنما هي طاعة يلتزم فيها الحاكم المسلم بكتاب الله ورسوله، وياليت حكام المسلمين اليوم يعملون بهذا المبدأ ويلتزمون به في خاصة أنفسهم ثم يلزمون رعيتهم به، ليحل السلام محل الحرب، والأمن محل الخوف، والعدل محل الظل

الفرع الثاني:الالتزام بمبدأ سيادة حكم القانون في النظم الوضعية

ولأهمية مبدأ الطاعة لأولياء الأمور من الحكام نجد الدولة تنص في دساتيرها باعتباره القانون العام الأعلى والتي تحرص الدول من خلاله على تقرير المبادئ والحقوق والحريات العامة، تؤكد على مبدأ الطاعة، فنجد في الدستور السوداني (على كل

([1])الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة، عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان للنشر- الرياض، 1418هـ/ 1998م، 2/95- 96.

([2])صحيح مسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، حديث رقم(1835).

([3])سنن ابن ماجه، باب لا طاعة في معصية الله، حديث رقم (2864)، مسند البزار، باب مسند ابن عباس، الحديث (5478).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مواطن سوداني أن يدين بالولاء لجمهورية السودان وأن يمتثل لهذا الدستور ويحترم المؤسسات التي أُنشئت بموجبه ويحمي سلامة أرض الوطن[1].

مما يعني الولاء للوطن ولمن يمثل هذا الوطن من أشخاص واحترام الدستور والمؤسسات التي أنشئت بموجبه، ومن بينها السلطة التنفيذية والتي يرأسها رئيس الجمهورية (رئيس الجمهورية هو يمثل رأس الدولة والحكومة ويمثل إرادة الشعب وسلطان الدولة)[2].

الخاتمة: وتتكون الخاتمة من النتائج والتوصيات.

النتائج:

اهتم أبوبكر الصديق رضي الله عنه في خطبته بالصف الداخلي للمسلمين، مع عدم إغفال البعد الخارجي وذلك على النحو التالي:

أولاً: الاهتمام بالصف الداخلي وشمل العديد من المجالات– الإصلاح السياسي والاجتماعي والأخلاقي ويتضح ذلك من خلال:-

أ) إعلان مبدأ المساواة بين الناس جميعاً وإزالة الفوارق السياسية والاجتماعية.

ب) الاعتراف للأمة بحقها في رقابة الحاكم عوناً ونصراً لها في المعروف، ونصحاً وتقويماً عند التقصير، مع بيان الوسائل و الآليات و الضوابط والحدود التي تُتبع في ذلك.

ج) إعلان تطبيق العدل والقسط بين الناس،حماية للكليات الأساسية في الدين، وحفظاً للأمن والاستقرار السياسي.

د) الدعوة إلى الطهر والفضيلة والعمل على مكافحة جميع الفواحش والمنكرات،من أجل مجتمع مسلم معافى ظاهراً وباطناً.

([1])دستور جمهورية السودان الانتقالي، (المادة 23- 1).

([2])المصدر نفسه، المادة (85- 1).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

هـ) الدعوة لطاعة ولي الأمر ما أطاع الله ورسوله فلا جماعة دون أمير، ولا أمير بغير طاعة.

ثانياً: الاهتمام بالبعد الخارجي للدولة –والاستمرار في نشر دعوة الاسلام وتبليغه للناس كافة، وذلك من خلال الدعوة الصريحة للتمسك بالجهاد باعتباره وسيلة لإزالة كافة العوائق من طريق الدعوة الاسلامية.

ثالثاً: يتعارض مبدأ المساواة المطلقة بين الرجال والنساء والحرية المطلقة بالشكل الذي تدعوا إليه المواثيق الدولية مع الشريعة الإسلامية.

رابعاً: الحرية والعدل والمساواة هي من أهم وأبرز حقوق الإنسان المدنية السياسية في عصرنا الحاضر وفي خطبة الصديق أقر بكل هذه الحقوق ووسائل حمايتها وضماناتها للجمهور المُخاطب في أول بيان سياسي عامله.

خامساً: مبدأ علمانية حقوق الإنسان أثر سلباً في شمول قيم حقوق الإنسان إذ جاءت المواثيق الدولية لحقوق الإنسان خالية من قيم حماية المجتمع في دينه وعقيدته وأخلاقه والطاعة لأولياء الأمر، هذا مع أنها في غاية في الأهمية لكونها تهدف للاستقرار السياسي والأمني والاجتماعي في الدول والمجتمعات.

التوصيات:

(1) إجراء المزيد من الدراسات حول قيم ومبادئي حقوق الإنسان الواردة في خطب الخلفاء الراشدين.

(2) التمسك بحق الخصوصيات الثقافية عند التوقيع أو المصادقة على المواثيق الدولية لحقوق الإنسان.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية:

1) سنن أبي داوود، أبو داوود سليمان بن الأشعث، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، صيدا- بيروت، (د، ط)، (د، ت).
2) سنن ابن ماجة، ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل الباري الحلبي، (د- ط) و(د، ت).
3) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة: مصطفى الحلبي- مصر، (د، ط)، 1395هـ- 1975م.
4) السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن بن شعيب، النسائي، تحقيق وتخريج، حسن عبدالمنعم الشلبي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت، 2001م.
5) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله الباز، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها، محمد فؤاد عبدالباقي، (د، ط)، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، 1998.
6) المسند، محمد بن أدريس الشافعي، ترتيب: سنجر بن عبد االله الناصري، الطبعة الأولى، شركة غرس للنشر والتوزيع، الكويت، 1425هـ/2004م.
7) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، الطبعة الأولى، مكتبة العلم والحكم، المدينة المنورة، 2009م.
8) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الأولى، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان – أبو ظبي – الإمارات، 1425هـ/2004م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ثانياً: المراجع

9) اختيارات ابن تيمية في التفسير من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم / جمعاً ودراسة،د. إبراهيم بن صالح الحميضي،الطبعة الأولى،دار التدميرية- الرياض، 1434هـ/2013م.

10) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكه، الطبعة الخامسة، دار القلم، دمشق، 1420/1999م.

11)أخلاقيات مهنة التعليم العام، د.حمد ابن أحمد الغامدي، الطبعة الأولى،مكتبة الرشد،الرياض، 2007م.

12) أخلاقيات المهنة في الإسلام وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، عصام بن عبد المحسن الحميدان، الطبعة الثانية، العبيكان للنشر – الرياض، 2014م.

13) الاحتساب مسؤولية وحساب،عبد الله فهد السلوم، الطبعة الأولى، السلمان للطباعة- السعودية- الرياض، 1430هـ.

14) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (أصوله وضوابطه وآدابه)،خالد بن عثمان السبت، الطبعة الأولى،المنتدى الإسلامي- لندن، 1415هـ/1995م.

15) أضواء البيان في إيضاح القرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، 1408هـ/1988م.

16) الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، د.علي محمد الصلابي،الطبعة الأولى،الناشر: مكتبة الصحابة- الشارقة- الإمارات،2000م.

17) البيعة عند مفكري أهل السنة والعقد الاجتماعي في الفكر السياسي الحديث- دراسة مقارنة ،د. أحمد فؤاد عبد الجواد عبد المجيد،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- مصر، 1998م.

18) تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك،أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، راجعه وقدم له وأعد فهارسه: نواف الجراح،دار مكتبة الهلال،ط، 1 ، (د ، ت).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

19) التعليق على صحيح مسلم، محمد صالح العثيمين، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد –الرياض، 2006م.

20) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت – لبنان، 1988م.

21) تفسير القران الكريم- سورة النساء، الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، (د، ط)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الدمام- السعودية، (د، ت).

22) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيوت لبنا ن، 1420هـ.

23) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1404هـ /1984م.

24) التفكك الأسري –الأسباب والحلول المقترحة، د.أمنية الجابر وآخرون، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية- قطر، 1422هـ/2001م.

25) الجهاد في الإسلام، محمد شديد، (د، ط)، الشعب، القاهرة، (د، ت).

26) الجهاد في سبيل الله، د.عبد الله بن إبراهيم المزاحم، الطبعة الأولى، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، 1428هـ/2007م.

27) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق، د.ماجد أحمد محمد الطاهر، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - 1431هـ/2010م.

28) الحكم الرشيد في التجربة الدولية، د.أحمد المفتي، الطبعة الأولى، شركة مطابع العملة- الخرطوم، 2006م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

29) حقوق الإنسان بين التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية، دراسة مقارنة، علي أحمد حاج حسين، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، 2013م.

30) الحقوق والحريات السياسية في الشريعة الإسلامية ،د. رحيل غرابيه، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت- لبنان، 2012م.

31) الدولة الراعية في الإسلام، دراسة في أصول الحكم الإسلامي الرشيد ، د. سيدي محمد ولديب، الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع – الأردن –عمان، 2015م.

32) الرسول وخلفاؤه، عبدالله عمر خياط، الطبعة الثانية، (د، ن)، 1411هـ.

33) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة الغزالي، دمشق- سوريا 1397هـ/1977م.

34) سلطة ولي الأمر في تقييد سلطة القاضي، د.محمد بن عبد الله بن محمد المرزوقي، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان –الرياض، 2004م.

35) سيرة النبي محمد، كارين أرمسترونج، ترجمة د.فاطمة نصر، د.محمد عناني، الناشر شركة سطور –القاهرة، (د، ت).

36) القانون الدولي لحقوق الإنسان، د.عروبة جبار الخزرجي، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع –عمان، الأردن، ص2010م.

37) القانون الدولي لحقوق الإنسان- المصادر ووسائل الرقابة، د. محمد يوسف علوان، محمد خليل الموسى، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع –عمان، 2009م.

38) القيم بين الإسلام والغرب- دراسة تأصيلية مقارنة، مانع بن محمد بن المانع، دار الفضيلية –الرياض- السعودية، 2005م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

39) قيم وأخلاقيات العمل والإدارة، د. مدحت محمد أبو النصر، الطبعة الأولى، الناشر: الدار العلمية للنشر والتوزيع، 2008م.

40) الكشافعنحقائقغوامضالتنزيلوعيونالتأويلفيوجوهالتأويل، جارالله أبيالقاسممحمود الزمخشري، تحقيقوتعليقودراسة، عادلأحمدعبدالموجود، علىمحمدمعوض، الطبعةالأولى، مكتبةالعبيكانللنشر- الرياض، 1418هـ/ 1998م.

41) الكلمة في الإسلام ودورها ومسؤوليتها ،د. أسامة ظافر كباره، المطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت –لبنان، 2012م.

42) لسان العرب، جمال الدين مكرم، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين، دار الحديث –القاهرة، مصر، 1432هـ- 2003م.

43) المحيط معجم اللغة العربية، أديب اللجمي وآخرون، المراجعة والتنسيق: أديب اللجمي، ونبيلة الرزاز، طباعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996م.

44) مجموعة رسائل دعوية ومنهجية، د.صالح بن فوزان الفوزان، جمع وإعداد، عادل بن علي الغريان، الطبعة الأولى، الميراث النبوي للنشر والتوزيع – الجزائر، 1431هـ- 2010م.

45) المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة (عهد أبي بكر الصديق) د. منير محمد الغضبان، الطبعة الأولى، دار المعرفة للنشر والتوزيع- جدة، 1430هـ /2009م.

46) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف، د.محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1417هـ/1996م.

47) موسوعة الأخلاق الإسلامية- علم الأخلاق، د. مقدادي الجين محمد علي، الطبعة الأولى، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض، 1413هـ- 1992م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

48) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام وسماتها في المملكة العربية السعودية، حقوق الإنسان، الدين والعلمانية، د. عدنان محمد الوزان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 2005م.

49) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية- (1) المقدمة، د. مرزوق بن صيتان، دار روح للنشر والتوزيع، (د، ط) و(د، ت).

50) الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د.عبد العزيز إبراهيم العمري، الطبعة الأولى، دار اشبيلية للنشر والتوزيع، 1422هـ/2001م.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

51) الأمة في معركة تغيير القيم والمفاهيم، تقرير استراتيجي محكم يصدر سنوياً عن مجلة البيان، الإصدار الثامن، أعد التقرير بالتعاون بين مجلة البيان والمركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، 1432هـ.

رابعاً: الشبكة الدولية للمعلومات

52) قانون مجمع الفقه الإسلامي، السودان، عام 1998م. موقع وزارة العدل، السودان www.goj.gov.sd.

53)النظام الأساسي لهيئة علماء السودان، موقع الهيئة www.sudanscholar.net

خامساً: التشريعات واللوائح

دستور جمهوري السودان الانتقالي لعام 2005م.

سادساً: الاتفاقيات والمعاهدات الدولية

54) اتفاقية القضاء جميع أشكال التمييز ضد المرأة الصادرة في 1979/12/18م.

55) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر في 1948/12/10م.

56) العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر في 1966/12/16م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

57) العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الصادر في 1966/12/16م.

58) الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، الصادر في 1981/6/27م.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com